المعاصرون

« الشيخ طاهر الجزائري »

— ٢ —

تآليفه ورسائله

ليست تآليف الشيخ مما يتناسب كل التناسب مع علمه الواسع لان بعضها مما الفه في صباه لنفع المدارس وهو مفيد جداً في بابه وفي حينه ومن تآليفه المطبوعة (الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية) و (منية الاذكياء في قصص الانبياء) و (مد الراحة الى اخذ المساحة) و (مدخل الطلاب الى فن الحساب) و (الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام) ورسالة في النحو وأخرى في البديع وثالثة في البيان ورابعة في العروض وكتاب (تسهيل المجاز الى فن المعمى والالغاز) وشرح ديوان خطب ابن نباتة . ومن كتبه (ارشاد الالباء الى طرق تعليم الف باء) ورسالة وجداول جدارية في الخطوط القديمة والحديثة . و (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) وهي المقدمة الصغرى من مقدمتي تفسيره . ومقدمة سماها الكافي في اللغة وهي مقدمة معجم ضاع اكثره . و (التقريب الى اصول التعريب) و (توجيه النظر الى علم الاثر) ومختصر ادب الكاتب لابن قتيبة ومختصر امثال الميداني ومختصر البيان والتبيين للجاحظ . هذا هو المطبوع . اما المخطوط فتفسيره الكبير ويدخل في اربعة مجلدات مخطوطة محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق مع جميع ما ظفرنا به [1] من اوراقه . ومن المحفوظ ايضاً كنانيشه وفيها خلاصة مما طالعه من الاسفار وعرض له من الافكار . وله من المخطوطات كتاب (الالمام باصول سيرة النبي عليه الصلاة والسلام) و (مقاصد الشرع) وغير ذلك . وقد احيا بالطبع عشرات من الكتب منها ارشاد القاصد لابن ساعد الانصاري وروضة العلماء لابن حبان البستي والادب

(١) راجع وصف هذا التفسير والأوراق والكنانيش في المجلد ٣ ص ١٧١ من مجلة المجمع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمروءة لصالح بن جناح والادب الصغير لابن المقفع وامنية الالمعي وتفصيل النشأتين للراغب الاصفهاني والفوز الاصغر لابن مسكويه الى غير ذلك من مقالاته في المجلات العلمية واملاءات جمة كتبت بتواقيع مستعارة لو جمعت لجاءت في مجلدين وثلاثة . والف الشيخ معظم هذه الكتب والرسائل بحسب الدواعي خصوصاً مبادئ العلوم ووضعها في زمن كانت فيه الكتب المدرسية في حكم المعدوم وذلك لينهض بالتعليم الابتدائي ويخلص الناشئة من غلطات المتأخرين المعروفة وحواشيهم وشروحهم المملة المضيعة لاوقات الطالب . ومعنى هذا ان الشيخ انتبه قبل غيره الى فساد طريقة التعليم القديمة وأدرك ان الزمان يقتضي اهل العلم ان يخرجوا الناس من ربقة القيود الثقيلة العائقة عن التحصيل كما انتبه الى كثرة سريان الحشو واللغو الى كتب الدين التي خلط فيها كثير من المتأخرين .

من أهم كتب الشيخ المطبوعة شرح خطب ابن نباتة وارشاد الالباء والتبيان والتقريب وتوجيه النظر ففيها لباب علمه واثر من آثار قريحته تجلت فيها روح بحثه وغوصه على مسائل دقيقة قل ان تسنى لغيره من المعاصرين الوصول اليها . وليس معنى هذا ان سائر ما طبعه الشيخ غير مفيد بل المقصود انه كتب لغرض خاص أريد به تثقيف الناشئة وهذه الكتب هي التي ظهرت فيها شخصية الشيخ وثقوب ذهنه وسعة مداركه وتلطفه في ابلاغ المعاني الى العقول وحرصه على ان يجيل في الاكثر على عالم تقدمه . لان الناس في العادة يقدسون الأموات اكثر من الأحياء .

والشيخ وان كان في مذهبه الديني الى الاجتهاد لكنه في مذهبه التأليفي اقرب الى التقليد يمشي على مذاهب القدماء ولكن بتنسيق وتقسيم بدون ان يشوش القارئ . ولو تيسر للاستاذ ان يسير على نظام اكمل من الذي سار عليه في معيشته وساعده الزمان والمكان على تجويد مصنفاته والصبر عليها قبل نشرها لخلف كتباً وخصوصاً في العشرين سنة الاخيرة من عمره نقرأ فيها صورة عظيمة من جهاده ونبوغه . وبلغني انه دوّن بعض الوقائع التي شهدها ولم نعثر عليها بين اوراقه الخاصة التي سرق بعضها وقت انتقاله من مصر الى الشام . ويقيني ان الرجل لو وفق الى طابعين اغنياء فضلاء يحملونه على العمل على ما خص به من النشاط وشدة الحركة لانتجت قريحته اكثر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مما انتجت في الفروع المختلفة التي طرقها ووزع قواه فيها ولكن نفانيه في الاسراع بحمل النور الى العقول وفسح التبعة التي اخذها على نفسه في الاسراع بانهاض أمته دعواه الى ان يكتفي بما تهيأ له وضعه وتأليفه ناظراً فيه الى مصلحة الناس لا الى مصلحته الخاصة وشهرته في حياته وبعد مماته .

كان محيط الشيخ الذي عمل فيه على عهد الشباب والكهولة ضيق المضطرب لا يتسع لانبعاث همته وكانت المطالب التي يتقاضاها منه حرصه على بث الاصلاح والتعليم كثيرة لا يقوى الفرد على حملها كلها ولو قدر له ان عاش منذ نشأته في محيط اوسع كمحيط مصر وخلا من مدافعة المشاكسين والظالمين ورأى شيئاً من الطمأنينة وسعة العيش لتضاعف عمله لا محالة وعم نفعه مصر وغير مصر وربما كان ظهوره في الشام والعهد عهد ظلمة وجهل أبرك عليها وأنفع لها لان ما اضطلع به وحده لا يضطلع به عشرة علماء على شريطة ان يكونوا في درجته من الاخلاص وشدة الشكيمة وعزوف النفس عن المطامع والدنايا .

وبعد فهذه صورة صحيحة من صور الاستاذ الحكيم عجيبة في خطوطها ونقاطيعها جميلة بالوانها وأشكالها عرضتها لغرابتها لانه ندر جداً في المعاصرين من الاحياء ظهور رجل يماثله في أطواره وحركته وسعة حيلته وبسطته في العلوم اللهم الا اذا كان ممن لم يبلغنا خبره في البلاد النائية والزمان بخيل بمثل هؤلاء النوابغ في كل عصر وقد لا ينبغ اضرابهم في قرون يفادون بكل ما يثفاني الناس في التهالك عليه من مال وجاه ورفاهية وتنحصر لذائذهم في بث افكارهم وآرائهم ويسعدون السعادة كلها اذا نهضوا بانارة عقول اهل جيلهم وقبيلهم .

رسائله الخاصة

والى القارئ الآن جملاً من كتب دارت بيني وبين أستاذنا فيها شيء من مبادئه العلمية وروحه السامي ربما ترجمت عنه لقلتها مثل ترجمتنا وزيادة . وكتابة المرء نمامة على علمه وعقل الكاتب في قلمه واختياره قطعة من عقله . وقد صدرت هذه الرسائل من القاهرة المعزية ومن أجمل مافيها كونها كتبت على البديهة لا كلفة فيها شأن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيخ في كتبه ومفكراته . وربما كتب الى أصحابه كتاباً وبعثه في البريد بدون ان يطالعه ثانية ولذلك رأينا بعض كتبه غفلاً من التاريخ ايضاً .

سألته مرة عن منشإ الشعوبية فأجاب « واما الزمن الذي ظهرت فيه الشعوبية فلا يحضرني فيه شيء والوقوف على اوائل الاشياء من أصعب المسائل وادقها الا ان الذي ظهر لي ان ذلك حدث بعيد عصر الخلفاء الراشدين لوجود الداعي الى ذلك وهو التفاخر بالجنس الذي هو من عادات الجاهلية التي اتى الدين بابطالها ومن نظر لمنزلة سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي في اوائل الامة زال عنه الشك في هذه المسألة .

ولا يدخل في هذا الامر بحث المؤرخ عن خصائص الاجناس مما يقصد به الوقوف على الحقائق فان هذا نوع آخر . الا ان من بحث عن أحوال الامم ووفى النظر حقه تبين له ان العرب في الجملة لا تساميهم أمة البتة .

وأظن انه لا بد ان تؤلف بعد حين كتب في خصائص الامم وكتب في خصائص البلاد كما الفت كتب في خصائص اللغات تجعل من الفنون التي يعنى بها وتميز عن غيرها ولا تذكر بطريق العرض الا ان فن خصائص الامم لتيسر المشاغبة فيه والمغالطة اكثر من غيره . وكل فن وضعت مقدماته ونقحت مسائله يبدو بسرعة عوار الغالط فيه .

هذا وكما حدث بعد عصر الخلفاء امر المفاضلة بين العرب والعجم حدث امر المفاضلة بين العدنانية والقحطانية وهما الفريقان اللذان يجمعهما اسم العرب . ونشأ بسبب ذلك من الفتن مايعرفه المولع بالاخبار . ولم يزل اثر ذلك باقياً في بعض الجهات الى ما قبيل عصرنا هذا وقد رأيت في بعض البلاد أناساً يقولون الى الآن نحن قيسية وآخرين يقولون نحن يمانية .

كتبت لك ما كتبت والقلم لا يكاد يجري لما حدث لي من الفترة من نحو ثلاثة أسابيع . وسبب ذلك اني اختبرت أحوال كثير من الولايات فوجدتها منقسمة الى حزبين كل منهما يباين الآخر في كل شيء ولم يظهر حزب ثالث يكون معتدلاً ومعدلاً لهما . واذا دام الحال هكذا تأخرت البلاد عما كانت عليه من قبل . وقد نصحت كثيراً من المحدثين من الأحرار بان يعدلوا مشربهم وحذرتهم عواقب الامر غلبوا ام غلبوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأبوا الا الإصرار على فكرهم وما قلت لهم رأيي الا بعد ان ألحوا عليّ في بيانه وحضر أناس منهم من مركز جمعيتهم وطلبوا مني التفصيل بعد ان بينت لهم ذلك اجمالاً فرأيت انهم يوافقونني في البدء ويخالفونني في النهاية فامتنعت في إتمام البيان وتشاغلت عنهم .

فاني رأيتهم يظنون ان حلهم لبعض مسائل الجبر والمقابلة يحل لهم مسائل ادارة البلاد . ان كثيراً ممن كنا نزدري برأيهم في السياسة من تلاميذ المدارس في مصر هم أرقى منهم في ذلك . وقد اجتمع بنا في هذه الليلة احد المرسلين منهم وسمع منا هذه العبارة وهي ملقاة على صورة تحتمل الجد والهزل فدهش وعرف انها الى الجد أقرب منها الى الهزل وكان يتكئم فاضطر لي الانطلاق فيما يراه من الاخطار التي يصعب تداركها ... اني متشوق لاخبار كثير من الولايات لعلنا نسمع بظهور الحزب الأوسط في واحدة منها فيسري ذلك في غيرها شيئاً فشيئاً . وهذا الحزب يلحقه في اول الامر اشداضطهاد لان الحزبين المتطرفين يبغضانه اكثر مما يبغض احدهما الآخر لاعتقادهم بانه أقرب الى انضمام كثير من الحزبين اليه » .

وقال من كتاب عن القاهرة في ١٩ صفر سنة ١٣٢٨ :

«وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم منبئاً بعودكم من بلاد اوربا فسررت بذلك سروراً شديداً وكنت أتمنى لكم هذه الرحلة من زمن قديم لما أتيقنه من الفائدة التامة العامة في ذلك . فان الاقتباس من الامم المترقية دليل على النباهة لا كما يظن البله من ان في الاقتباس غضاضة ونريد بالاقتباس ما يشعر به هذا اللفظ من تلقي الامور النافعة لا كما يظنه المتكايسون من ان الامم الراقية ينبغي ان يؤخذ منها كل شيء حتى ادّاهم الامر الى ان يقلدوهم في الامور التي يودون هم ان يتخلصوا منها .

واما ما يتعلق بخزائن الكتب في الاستانة فقد خطر في بالي خاطر يرتفع به محذور الامتعاض في جمعها وذلك بان تبقى كل مكتبة في موضعها لينتفع بها المجاورون لها غير انه يؤخذ منها الكتب النادرة وهي في الغالب لا تلزمهم ولا يهمهم امرها وتوضع في موضع معد لها يكون في وسط البلدة . ومن اطلع على دفاتر مكاتبها وجد امكان اجراء ذلك بدون اعتراض يعقل . ولما عملت برنامجاً لكتبها النادرة رأيت ان بعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المكاتب قد يوجد فيها نسخ متعددة من كتاب نادر فلو أخذ احد النسخ المكررة لم يكن في ذلك ما يقال . وقد كنت ذاكرت بهذا الامر بعض اعضاء الجمعية فاستحسنه جداً وذكر لي انه سيسعى في إبرازه من القوة الى الفعل . ثم عرضت شواغل عاقت عن ذلك .

واما مصر فقد دخلت في الدور المجهول وسيكون اما لها واما عليها . وهذا الدور لا بد منه لكل أمة تريد النهوض بعد العثرة فان ساعدها الزمان والمكان والامكان نالت مناها والا كان لها تململ بسوء البخت بعد التشبث بالاسباب الظاهرة جعل الله سبحانه العاقبة خيراً » .

وكتب ناصحاً وواضعاً خطة للاصلاح الاجتماعي بتاريخ ١ جمادى الاولى ١٣٣٧ :

« ومما يهم الامر فيه اصلاح العادات فان في الشرق كثيراً من العادات التي ينبغي ابطالها كما ان فيه كثيراً من العادات التي ينبغي المحافظة عليها غير انه لا ينبغي ان يستعمل التنكيت في ذلك بل يستعمل مجرد البيان الدال على حسن الشيء او قبحه .

ولا يتيسر الاقدام على هذا الامر الا لمن لا يهمه امر المدح والذم العاجلين بل يهمه حسن الاثر .

ومن العادات الرديئة جداً ان الكاتب قد يمكنه ان يكتب في اصلاح عادة لكنه يرى ان الكلام في ذلك يكفي فيه عشرة اسطر فيرى ان الناس يزدرون بذلك و ينسبونه لقلة القدرة على الانشاء فيترك الكتابة فيه او يسهب إسهاباً لا داعي له من سرد مقدمات معلومة مسلمة لو تركها لكان أقرب الى الفهم وأبعد من الوهم وما ذلك الا من تأثير الحشوية فيهم وقولهم ان الناس نسبوك لعدم الاقتدار على الكتابة . فينبغي ان يكون في المجلة ولو مقدار صفحة تبحث في العادات على اختلاف أنواعها وتعليم ذلك للبنين والبنات . هذا ومن جهة رأي الناس في حقكم فان النبهاء المنصفين منهم يجعلونكم ممن ثبت في حين الشدة ولا تعبأوا بمن يلوم عن جهل وغباوة فان ذم هؤلاء أقرب الى المدح من ثنائهم .

وكتب اليّ يقوّي عزيمتي على العمل :

وارجو ان يكون ما حصل لكم من المروّعات زائداً في نشاطكم في افادة الامة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فانها في احتياج شديد الى من يبين لها الطريق الأقوم من ارباب الوقوف والاخلاص وأعظم ماتحتاج اليه هو امر الاخلاق وما يتعلق بها ومعرفة الامور العمرانية على وجه لا يكون فيه إخلال بمعالي الامور وتنبيههم على عدم التعويل على المدنية التي كان الغربيون قديماً يفتخرون بها و يزدرون بمن لا يتابعهم عليها مما هو مبني على مجرد مراعاة الامور المادية دون غيرها وهي التي جلبت هذه المصائب الحاضرة وقد أشرتم بطرف خفي الى ذلك في محاضرتكم التي القيتموها في مصر حين فراركم من دمشق اليها وقد صرحنا في ذلك في قصيدتنا البائية المطبوعة في الجزء الرابع من منتخبات الجوائب . وقد كان أناس يقرؤونها ويعدونها من آراء حشوية الشرق فما زالوا على ذلك حتى صرح فلاسفة الغرب بذلك . ومما ينبغي ان تحثوا عليه تعلم صنعة ما اي صنعة كانت ولا يكون احد خالياً عنها و يجعل هذا مبدأ جديداً لهذا العصر والتعويل على الرياضة الجسمانية » .

وكتب في غرض الاعراض عن المثبطين من رسالة :

« وقد عجبت من اولئك الذين يسعون في تثبيط الهمم في هذا الوقت الذي تنبه فيه الغافل فضلاً عن غيره موهمين الشفقة .

وكان الاجدر بهم ان يشفقوا على انفسهم و يشتغلوا بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع . ولم ير احد من المثبطين قديماً او حديثاً اتى بامر مهم . و ينبغي للجرائد المهمة ان تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة والتحذير منها ليخلص منها من لم تستحكم فيه و ينتبه الناس لاربابها ليخلصوا من ضررهم . وقد ذاكرني منذ ليلتين احد نجباء الابناء في هذه المسألة وشكا كثيراً منها وعجب لعدم اكتراث المصلحين ببيانها بياناً كافياً شافياً فقلت له : المأمول ان يكون الاوان قد آن لاصلاح هذه العادة التي تهبط بالامة الى الدرك الأسفل أصلح الله الأحوال » .

وقال من كتاب في غرض التربية :

« واؤكد في هذا الكتاب بامور :

(١) = إدخال مبادئ الصنائع في المدارس الابتدائية ويمكن تجربة ذلك اولاً في مدرسة واحدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢) = ادخال التربية العملية فيها وذلك بتعويد التلميذ على الصدق وان لا يتكلم في شيء الا بعد ان يختبره فان الشرقي اعتاد ان يدعي كل شيء وان لا يقول في شيء لا أعلم وهذا جعله لا شيء عند الغربي .

(٣) = السعي في مدرسة للقراءآت السبع مثل ما كان من قبل . ولا ينبغي ان توضع هذه الأشياء في المذاكرة او ان يخطب فيها فان مثل ذلك ينبغي ان يخطب فيها بعد ان تصير » .

وقال في موضوع التعليم وقد رجوته إرشادي برأيه فيها في المدارس ورأيه في البحث في المخطوطات : « ومما زاد فيه سروري شيئان احدهما الاعتناء بتربية الانجال فان اكثر الآباء يرجحون من حيث يدرون ولا يدرون مصلحة انفسهم وما ذكرتم فهو موافق . والاولى ان يضم الى ذلك صنعة كالخياطة والتفصيل ونحو ذلك وعرفوني بعد حين البروغرام الذي يظهر لكم . وينبغي ان تتولوا بنفسكم بعض التعليم ولو مدة ربع ساعة على طريق احد المغاربة فانه كان يطلب من ولده ان يفيده بعض مسائل بعد ان يشعره بطرف خفي بمظانها فيلقيها الابن على الاب كأنه يفيده .

واما الذين يريدون ان يخفضوا ما رفع الله شأنه ويرفعوا ما خفضه فعما قليل ليصبحن نادمين والزمان يضحك منهم وكذلك الائمة الغربيون الذين يمتون اليهم بوسيلة التقليد لهم فلا يكن في صدرك حرج منهم فهم أغرار وينبغي ان تمحو من لوح الفكر لفظ اليأس فانه أضر شيء ؛ واثبت ففي الثبات جل الحكمة ان لم نقل كلها .

الثاني استفسارك عن وصف الكتب فانه دل على انك قوي حسن الظن بنا حتى تكاد تعتقد اننا لا نقول شيئاً جزافاً كما ان أناساً يعتقدون اننا لا نقول شيئاً الا جزافا . وهنا أذكر لك حكاية سمعتها مراراً ممن أثق بهم وهي ان احد من جمع له بين العلم وغيره من الصفات العالية أرسل الى احد من يميل اليه من النبهاء وقال له أريد ان ننشر بين جماعتنا العلم الفلاني فقال لا أعرفه وانما أعرف العلم الفلاني . فأعاد عليه العبارة فأعاد المسؤول قوله لا أعرفه . فأعاد عليه السائل ما قال اولاً فأراد المسؤول ان يجيبه فأشار اليه بعض الحاضرين اشارة خفية ان يظهر الامتثال ثم قاموا من عنده فقال له المشير : ان فلاناً لم يقل لك ما قال الا وهو يعلم انه ممكن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واذا تحقق الامكان فما عليك الا ان تسعى في إخراج الامر من القوة الى الفعل فسعى وتم الامر . وحصلت فائدة عظيمة من إحياء امر كان دارساً .

ونرجع الى اصل المسألة فنقول : من أراد وصف كتاب ينبغي له ان ينظر فيما قاله مؤلفه في مقدمته او في خاتمته او فيهما معاً و يأخذ خلاصة ذلك والوصف عندهم ليس عبارة عن النقد بل بيان موضوع الكتاب والداعي الى تأليفه . وما في الكتاب من الخصائص وعلى ذلك يتيسر وصف الكتب باسرها حتى كتب الطب فاذا زاد الواصف فصلاً من الفصول ليكون كالنموذج كان أحسن وكثيراً ما يكون وصف الكتاب على هذه الطريقة سبب نشره .

واكثر وصف المؤلفين لكتبهم اما مطابق للواقع او قريب منه . اما المموهون فقليل في الطبقات القديمة . ومن العجيب ان هذا الامر لا يشعر به كثير من نبهاء هذا القطر ولفظ الكثير هنا مجاز وجربوا انفسكم في غير التاريخ ونحوه ففي الحديث يمكنكم ان تصفوا هذه الكتب .

« في دار الكتب الظاهرية بدمشق »

نمرة ٣٥٦ اللطائف في علوم المعارف للدبي

« ٣٦٢ اسماء الضعفاء للعقيلي

« ٣٨٧ معرفة الرجال لابن معين

« ٣٩٠ المشتبه للغساني

« ٣٩٣ الكفاية في علم الرواية

وهذا امر يفيد الناس اكثر من كثير من المقالات التي حررها أناس ليس لهم تتبع ولا معرفة بجعل نتيجة للمقالة حتى صار المطالعون يضيق صدرهم من ذلك . وقد سألني منذ مدة بعض ارباب المجلات عن أحسن المجلات فقلت أصغرها حجماً .

(في ١٥ ذي القعدة ١٣٢٨)

وقال من رسالة :

« مما يهم جداً إدخال مبادئ الصنائع في جميع المكاتب الابتدائية وقد جرب ذلك في بعض المدن فتبين ان ذلك مما يعين على التحصيل ايضاً والفائدة في ذلك مهمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومما يهم جداً إدخال التربية العملية في المدارس لاسيما المدارس الابتدائية . ومن ذلك ان يعود التلميذ على ان لا يتكلم بما لا يعلم وان يتفكر قليلاً اذا سئل عن شيء لم يسبق له به اختبار . وهذا امر ممكن قريب المأخذ قد عمله أناس فنجحوا فيه — وأرجو ان لا تقرأ أفكاري على أناس من الحشوية او الفلاسفة الخياليين فاني أربأ بها عنهم . نعم هؤلاء ينبغي ان يعرفوا ذلك بعد العمل به . ونصيحتي لكل محب ان لا يشتغل بمثل هؤلاء فانه انفع . (في ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٣٧)

« هذا وقد سرني كثيراً زوال المباينة بينكم وبين الذين نود عدم مباينتهم . وهذا ايضاً من اثر النشاط فان النشاط اذا زال لحق المرء الملل من كل شيء واذا حصل قويت الهمة ورأى البعيد قريباً وأقام للناس اعذاراً ونفعهم وانتفع بهم .

* * *

« قد جرى منذ اسبوعين مذاكرة سرية في طريقة ترجمة احدى دوائر المعارف الفرنسوية فان الناس في احتياج لذلك . وقد تبين من المذاكرة ان امر المال سهل فان احد الحاضرين تعهد بذلك وقال ان له إخواناً لا يتوقفون في الامداد ولكن المهم وجود مترجمين كافين يتعهدون بالقيام بذلك الى النهاية فقلت ان هذه المسألة تحتاج الى تفكر وبحث شديد . وقد استقر الرأي على ان تدرس في نحو ثلاثة اشهر ووعدت بالكتابة لكم في ذلك فابحثوا في المسألة فيما بينكم وبين نفسكم ثم فيما بينكم وبين إخوانكم الذين يناسب البحث معهم في ذلك على صفة خاطر قد خطر وكان معنا في المذاكرة الفاضل المقدام السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وهو يأمل ان يوجد بارشادك نحو سبعة مترجمين . وقد تشبث بهذا الامر منذ سنين أناس ظنوا ان المال يأتي بكل شيء فتبين لهم غلطهم وأعرضوا عن الامر وهذا امر بعيد جداً ولكن هو في درجة الإمكان القريب من الوقوع وانما يحتاج الى الهمة ومعرفة الطريق وقد كان بعض الحاضرين يريد ان يجعل زمام الامر في يد الحكومة فطلبنا ان يكتم ذلك عنها فانه لا يؤمل ان تقدر عليه فان هذا الامر محتاج الى الحكمة اكثر من احتياجه الى الحكومة » .

وقال في رسالة وقد سألته عن التاريخ الهجري وانتقاد بعضهم على استعمالنا له :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« عجبت لمن يسعون في ان نهجر التاريخ الهجري و يفاتحوننا في ذلك كأنهم لا يعلمون انا نعلم مايرمون اليه عن بعد . لكل أمة شعار اذا تركته طمع فيها واستضعف جانبها وربما صارت بعد مدمجة في غيرها . وقد سعى أناس منذ عهد بعيد في ان يضعفوا ما يقوي امر الاسلام عموماً والعرب خصوصاً فنجحوا بعض النجاح فطمعوا في ان يقضوا عليه فلم يجدوا اقرب الى ذلك من اضعاف امر اللغة العربية والسعي في تبديل خطها والتزهيد في الكتب التي كتبت به فجعلوا ذلك دأبهم وديدنهم حتى اثروا في كثير من ابناء جلدتنا الذين يظنون انهم على غاية من الذكاء والوقوف على أسرار الامم فكان ما كان مما هو معروف ثم زاد الامر فطمعوا في تبديل التاريخ الهجري وساعدهم على ذلك ، جبت مصر ففرحوا فرحاً لا مزيد عليه . وقال بعضهم الآن شفينا الغليل من هذه الامة غير ان كثيراً ممن انتبه لهذا الامر سعى في إعادته على قدر الإمكان فامتعض اولئك القوم وصاروا يلمزون كل من يسعى في ذلك .

وهذه المسألة نظراً لتعلقها بتاريخ تأخر الشرق لا يتيسر ان يكتب فيها أقل من نحو ثلاثين صفحة في نحو ثلاثين يوماً . وليت شعري كيف يلام المسلم على ان يؤرخ كتابه بالتاريخ الهجري فهل انقرض التاريخ الهجري وهل يريدون ان ينقرض واصحابه أحياء ؟ فان قالوا ان المقصود توحيد التاريخ في الامم واوربا هي القوية الآن قيل ان لاوربا تاريخان احدهما شرقي والآخر غربي وكل يؤرخ به قوم منهم فهل اوقف ذلك التجارة او اثر في المدنية شيئاً . ولم لا يكلفون تغيير مكاييلهم وموازينهم وأذرعهم لتتحد المقاييس في الامم . وتغيير ذلك ليس فيه غضاضة بخلاف التاريخ . وقد رأيتهم يعتذرون عنهم و يعدون ذلك مناقة في الأخلاق فانظر ما وصلنا اليه» .

وهذا الكتاب يدلنا على اشياء كثيرة من سيرة الشيخ ومرماه ونصاعة حجته وجميل مناقشته لخصوم مشربه .

وكتب : « كان كثير من الحشوية يلومونني في تنبيه المؤلفين والطابعين على ما يلزمهم و يقولون ان هذا لا يفيد غير العداوة وانت تضرب في حديد بارد وما دروا اني ممن يقول بان العداوة في محلها أجدى عندي من ان اكسب المحبة من غير وجهها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وان معاداة الغاشين لي مما يسرني كما ان محبتهم لي مما يسوءني غير ان الزمان ابان ان كل نصيحة لا تخلو من تأثير ولو بعد حين فان كثيراً ممن لحقتهم صدمة منا ومن اخواننا الذين أعطوا هنا عهداً ان لا يغشوا الامة قد صاروا يراجعون بعض مراجعة غير ان التأثير في المطابع كان اكثر .

واما امر التصحيح فلم يهتد المصلحون الى طريقة في اصلاحه . بحيث ان بعض الناس طلب الينا ان نبحث له عن مصحح لكتاب المحكم لابن سيده وهو اكبر من لسان العرب ليشرع في طبعه فبعد بحث كثير تبين انه لا يقوم بتصحيحه الا فلان وهو احد اخواننا الذين لا يساعدهم نظرهم في املاكهم الجمة على التفرغ لمثل هذا الامر . فأرجيء الآن طبع الكتاب لهذا الامر . فانظر الى الحال التي وصلت اليه مصر . فما قولك في غيرها الا ان الذي يسر في مصر انتباهها لنقصها بخلاف الأقطار الأخرى والانتباه للنقص هو نوع من الكمال . أرانا الله سبحانه الكمال على حقيقته بمنه . عليكم بالرياضة الجسمانية والرياضة الروحانية . و يدخل في الرياضة الروحانية التباعد عن سماع الاخبار التي أولع بها المرجفون . فانه لا قيمة للزمان عندهم وهو عند الحكيم اغلى من الجوهر . (١٧ رمضان سنة ١٣٢٦)

وكتب من رسالة :

« قد سرني في مصر في هذه المدة ان العقلاء بدأوا يجتمعون في الفكر والتعاون على صفة يقتضيها الموقع وهو عدم التظاهر من اول الامر كما يفعله طالبو الشهرة وهذا امر لا يشعر به الا من اطمأنوا اليه . وقد كانوا قبل ذلك يقول كل واحد منهم نفسي نفسي . واذا استنجده احد لامر نافع قال ولو بلسان الحال « عليك بخويصة نفسك » .

قد اجتمعت في هذا النهار بعالم اورباوي قد حل الخط الثمودي الموجود في مدائن صالح وأخبرني ان كتابه قد تم طبعاً وهو الآن يسعى لجمع لغة اهل نجد فانه وجد ان اكثر الكلمات العربية لم تزل باقية عندهم وكان قد ساح في تلك الجهات وهو ممن يتعصب للغة الكتاب العزيز اكثر مما يتعصب اهلها لها .

كان قد أسس في اميركا مدرسة يقرأ بها الطالب وهو في بلده وقد كنت رأيت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في سورية احد طلبتها وهو يدرس فيها فقاد فيقاً وأظن انها تسمي المدرسة الكوتشوكية وقد كان ترجم قديماً الى العربية بعض قوانينها وطبعت ثم نفدت النسخ بحيث اني بحثت عنها فلم اجد نسخة بل لم اجد من يعرفها فان وجدتم كتاباً بالفرنسوية يتعلق بها فترجموا منه ما تيسر مما يوافق البلاد ٠

وقد سعى بعض الواقفين على ذلك من نحو عشر سنين في بث هذا المقصد الا انه على وجه خفي حيث كان نشر العلم اذ ذاك يعد من أعظم الأجرام ٠ والآن لم يبق مانع ومجرد نشر أسلوبها وقوانينها بفيد فضلاً عن التشبث بشيء من ذلك» ٠

وقال في كتاب :

« وقد وقفت على كثير من الجرائد الجديدة فوجدت جل مباحثها في بيان فوائد الحرية ٠ ورأيت الناس قد ملّوا من هذا البحث لان الحرية ان كانت على المعنى الذي يقول به الحكماء فهي مما لا يختلف فيه اثنان من ذوي النباهة ٠ وان كانت على وجه آخر فربما كان ضررها اكثر من نفعها ٠ ولست أعني بالحكماء هنا أمثال الحكيم الذي كان يقال لكم انه تعلم الحكمة في سويسرة في ثلاثة اشهر لان مثل تلك الحكمة ما يزيد خبالاً ٠ وما ارى اكثر الفتن التي وقعت في كثير من الولايات الا من مثل هؤلاء لا سيما ان ضم الى دعوى الحكمة دعوى الحرية وهو لا يملك نفسه ٠ وقد كان ارباب الحدس يتصورون انها تكون اشد الا ان الألطاف الالهية خففت فخففت ولله الحمد ٠ (٢٣ شوال سنة ١٣٢٦) ٠

وذكر في جملة كتاب حوى مسائل كثيرة في نسخ الكتب واخذها بالتصوير الشمسي والعناية بوضع فهرس لكتب رومية باللغة العربية ثم قال :

« من اغرب ما في القدس امتزاج المسلمين مع النصارى على وجه غريب بحيث لم تؤثر فيهم الطريقة التي اتخذها المستبدون في تمشية امرهم وان هلك الحرث والنسل ٠ وقد رأى بعض الباحثين ان هذا امر دبره صلاح الدين الايوبي برأيه الثاقب منعاً لما حدث من قبل بسبب سوء سياسة العبيديين الذين كانوا بمصر تغمدهم الله برضوانه ٠

خذوا على نفسكم عهداً بان لا تؤخروا جواب مكتوب لاحد وخذوا العهد على من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان على شاكلتكم بذلك فان في ذلك فوائد جمة والمكتوب يسوغ ان لا يزيد على خمسة اسطر . (٤ شوال سنة ١٣٣٧)

وقال ايضاً :

«وارجو ان لاتقصروا في كتابة نبذ تتعلق بالتربية وتدبير المنزل واصلاح العادات وما أشبه ذلك . واؤكد عليكم في ان لا تشتغلوا بشيء من الجدل فان الجدل يبطي عن العمل . وخذوا من عنان قلمكم لئلا يجري الى غير مدى والاعتدال أقرب لحصول ما يبتغى .

وذكر في رسالة ان الكتب التي يجب ان توصف :

١ = أرجوزة ابن سيده في الادب وهي من قبيل الملح اللغوية في نمرة ١ من الادبيات المنظومة مع ديوان ابي العتاهية تزاد فيها نثراً في الآخر الصاحب وما يميل اليه من دواوين الشعر والكتب وما يتقنه من العلوم والصنائع او ما يتجر به وما يؤثره من الأخلاق ونحو ذلك و يتيسر عمل ذلك في جدول في صفحتين او اربع .

٢ = المجمل في اللغة في الظاهرية نسخة منه ناقصة من الطرفين .

٣ = المغرب للمطرزي .

٤ = رد ابن السيد على رد ابن العربي على شرحه لديوان المعري .

٥ = اعتاب الكتاب لابن الابار .

٦ = عروض ابن معطي وبديعيته .

٧ = بغية المؤانس من بهجة المجالس والاصل لابن عبد البر .

٨ = قانون البلاغة لابي طاهر محمد بن جبلة البغدادي في الظاهرية .

٩ = مختصر اصلاح المنطق .

١٠ = الاربعين السلفية وهي مرتبة على البلدان . وممن سمعها على السلفي الملك الناصر صلاح الدين يوسف ووالده نجم الدين ايوب بن شادي بقراءة القاضي سنا الملك هبة الله بن جعفر بن سنا الملك محمد بن هبة الله بن محمد الاسدي .

ينقل صورة السماع فقط . اه

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net